قصة قصيرة

عندما يعود الجنوبي

بقلم : رياض ابو عواد

(١)

ـ عمر .. صوت رفاقه ينادونه من على الرصيف الاخر .

الزمن : الآن (حيث تمتد هذه الآن عدة سنوات) .

المكان : بيروت في احد شوارع المنطقة الوطنية ..

ـ « اواعي » قديمة للبيع ..

ـ رجل جنوبي .. يده اليسرى مقطوعة من الكتف ويحمل بيده اليمنى لافتة يطلب بها العون ..

ـ صوت بالكاد يسمع بالشارع .. ولكنه يملأ اذني عمر بعمق .. ويغوص بالعمق اكثر ..

« الفلاحين .. بيغيروا الكتان بالكاكي ..

وبغيروا بالكاكي بلون الدم .. »

ـ سيارة بويك امريكية فارهة .. تمزق الشارع .. وصوت زعيق فراملها يصك اذن المارة .. وسائقها يصرخ ببائع الملابس القديمة وبالجنوبي مقطوع اليد .. بصوت مخنث :

يا ابناء الكلب .. إن اوسخ سيارتي بهذه الجثث النتنة ..

وزعقت عجلات السيارة مبتعدة .. وتهديد عمر يلاحقه :

ـ يا حقير ..

ثم همس لنفسه .. سأقتله .. سأقتله .. ليس الآن ، عندما اعود ، نعم عندما اعود ..

ملاحظة [الجنوب يمتد ويلتهم بجبال الجليل .. بحيث لا يمكن تمييز جبل عن جبل .. ولا فقر عن فقر .. ولا فلاح عن فلاح .. الاثنان ملتحمان] .

وصل عمر الى اصحابه .. واحدهم يعلن :

انها سيارة ابن احد سفراء دول البترول .. ولهم علاقات حميمة مع الجانب الاخر من بيروت .. ولكن اللعنة الى متى سيبقى هؤلاء ياتون هنا ..

اجابه عمر ساهما : ـ عندما نعود لن يستطيع ابدا ان يأتي هنا .. ابدا

نظر الرفاق اليه .. لقد عرفوا مصير ابن السفير ..

(٢)

همس الرفاق : ـ هيا بنا .. انها تنادي :

الزمن : خطوات تمتد اتجاه المستقبل (المستقبل امتدادات ماضي وحاضر ومستقبل) .

المكان : طريق يمتد الى جبل صلب تنام في حضنه الايسر قرية عتيقة ..

صرخ عمر : هيا يا رفاق اجتازوا هذه البوابة المهزلة ..

ملاحظة [انها ليست مهزلة هذه البوابة فقد تكلف الانسان حياته .. وقد تكلف الاخرين حياتهم .. انها تعتمد على اية جهة تفتح هذه البوابة] .

اجتياز وعسرة طويلة .. لم يكن يحتاجها عمر في وقت مضى .. فهو كان منغرسا هناك في قريته العتيقة المزوجة مع صخر ذلك الجبل الجليلي ملتحفة بالزيتون كأحلى أغنية .. لقد كان يخرج بعسرات ليلية قصيرة ليبشر كلماته على جدران المنازل .. لتقوم المنازل باحتضانها ونشرها في عقول اهاليها في ارض الوطن .. مبشرة .. معرضة .. ومبتسمة لفجر جديد .. وانسا .. ن يسو .. لد .. جد .. يد . كان يختبيء احيانا حتى تمر دورياتهم .. او احد العملاء .. ولكنه يعود دوما للبيت .. حيث تستقبله ابتسامة عريضة عارفة باشياله .. ولم تكن ابتسامة ابيه تساله عن شيء .. كانت تشجعه بصمت سري .. والده ..

ـ قف من هناك .

التصق الخمسة بعروق الزيتون بصمت .. بحب .. بداوا ينفرسون مع الجذور بعمق .. بعمق داخل الصخر .. اللعنة على هذه الصرخة .. وهذه اللغة .. لقد اعادتهم الى الماضي .. عندما .. كانوا جذورا عميقة .. والاكثر رعبا انهم لم يردوا على نار العدو اذا اطلق الرصاص فعليهم ان يوصلوا الاسلحة الى القرية ـ قرية عمر ـ .

لم يطلق العدو الرصاص .. فامتدوا مع جذور الزيتون واغصانه التي الجبل الجليلي الصلب .

ـ قلوب ترتجف .. حبا .. خوفا .. والثقل يصبح اخف .. فالاكتاف تحتضن خطواتهم وتبكي مع عروقهم .. هناك القرية تقترب .. تقترب والابتسامة تملأ بيوت القرية وجه القرية يتسع .. وفلاحات خضراء زيتونية تلفها .. عمارة مقدوم الربيع .. فهذه خطواتهم تدق بوابة المستحيل .. وها هو تعليما يرتجف مع نبضهم ..

(٣)

ـ اقترب عمر من البيت .. دق الباب .. والحنين يقتلع قلبه يرميه تحت قدمي احبته .. بالكاد رفع يده ليدق الباب .. فاذا الباب مفتوحا وابتسامة تملأ الوجه الأشيب العريض .. وجه والدته ..

الزمن : المستقبل يتعلم من المستقبل الحاضر .. من المستقبل الماضي ويمد الى مستقبل المستقبل ..

المكان : حضن أمه .. حضن قريته .. حضن الوطن ..

ـ عمر .. لقد كنت أنتظرك .. والدك اخبرني الليلة عندما جاء من الجبل .. ذهل عمر اللعنة من اين سيدري والده بقدومه .. امتدت ابتسامة والده العارفة لتغمره .. وليغمر راسه بصدر امه .. تماما في القلب غمر راسه .. الكهل والده حمل بندقيته مع عزالدين القسام وحملها مع عبدالرحيم محمود .. وها هو يحملها من جديد عندما اصبحت هنالك حدود جديدة .. وعندما اقاموا دولتهم امضى في السجن عشر سنوات .. ليخرج ويبقى خنجرا في حناجرهم وها هو يحمل البندقية .. ولكنها تختلف انها اوتوماتيكية .. هكذا قالت له امه : ـ انه يبحث دوما عن حريته التي لا يعرفها الان الا بالبندقية ..

ـ « اواعي » عتق للبيع .

ـ رجل مقطوع اليد يطلب المعونة .

ـ سيارة بويك امريكية .. لابن احد السفراء .

وصوت والده يحدر على لسان بطل كان ينتظر المشنقة في صبح اليوم التالي :

انا ملوك ما	تمشي وراها رجال
تخسى الملوك ان	كان هيكل الملوك انذال
والله نيجانهم ما	يصلحوا لنا نعال
احنا الي نبوس	الوطن ونداوي جراحو

نظر عمر في عيني امه .. رآها تحتضن البنادق والرجال بعينيها .. ودموعها دموع الفرحة تمتد تغسل الغبار عن ورق الزيتون .. تروي جذوره .. تمتلىء الثمرات الخضراء زيتا .. يشتعل مصباح .. مصباح .. ورآها تمد عينيها تناجي المصابيح التي ستنير .

(٤)

مصباح ينير .. مصابيح ستأتي .. مع خطوات الرفاق .. مع موت (خطواتهم) .

الزمن .. المستقبل القريب (افراد) .. المستقبل البعيد (شعب) .

المكان .. دول الطوق .. الوطن الديمقراطي الاشتراكي العربي .

سيأتي ذلك .. برصاصنا يتناثر .. بقذائفنا تتناثر .. تقتل الموت وتحرق سيارة الامريكية وصاحبها .. وزغاريد أمي تملأ اودية .. تملأ الزيتون ازهارا .. ويمتلىء الصوت بالمستقبل القريب .. فوالده في الجبل ومعه بندقيته .. وصوته يدوي من جديد .. يسقط فرعون .. يسقط الطوفان .. ويبقى الجسور والصوت يملأ السكون .. يملأ الكون .. لا صوت غيره ..

الفلاحين بيغيروا	الكتان بالكاكي
وبغيروا بالكاكي	بلون الدم
ويزرعوه يا قطن	ويا السناكي
ويزرعوه يا قمح	سارية علم

الصوت يمتد .. يتلاحم .. على امتداد الوطن العربي ..

تداعيات للاعياد... والأطفال وأيضا للمقابر

اننا ننزع دائما نحو مقاومة الفعل . نتعمد ابدا الغاء قوانين العلاقات . لكن في غرائزنا تسكن الحركة الاصل . تسكن خلجة الضوابط الانسانية . نحن في مجملنا نمثل حقيقة سجن لا نزال نبحث عنه سجن نغرق انفسنا فيه كي نلامس فعل الحياة .. في اعماقنا نجد دائما ما نبحث عنه وتلك مسببات استمرارنا وسط اغتراب بطيء وقاتل في آن معا .

سلاما لمئة الف قبر .

سلاما للبلاد التي غادرتنا ، للبلاد التي غادرنا .

سلاما لخيمات الرمل التي تكبوا على زنود الاطفال ، سلاما للفلسطيني، للجنوبي ساعة تجيء الاعياد ونحمل سوادنا الى المقابر . بينما الاطفال ينتظرون اولى علامات الصباح . او يعدون الوقت باصابعهم الدافئة . انه « العيد » لكن في هذا اليوم بالضبط يحدث اغتصاب مخيف يثير اغترابا واضحا ساعة ينبش الصفار فراش امهاتهم . او سرائر آبائهم ولا يجدون غير الفراغ .. فيتحاورون ويحارون . ثياب جديدة مرمية فوق المكان . لكن ماذا يحدث ؟

هل نرى الآن ان كل شيء .. كل شيء بدله الانتظار . قد ينهونك بانك رومانسي خيالي ، او سري عصي الفهم ، او حزين اكثر مما يجب ، قد ينهمون ظلمك او نزيفك بانه يصب في مجرى آخر لا علاقة له بالنهر قد ...

لكن حين ينتظر الاطفال ليلا بكامله لاستقبال ما اتفق تاريخيا على انه « العيد » اي زوبعة نلملم لنستوعب طيف ما حلموا به ساعة يفتحون خزنات ثيابهم ولا يجدون غير رصاصات متعبة او اصرارا عاصفا يوحي بالخطأ .

الآن ابدا وحدي واعلن .. اننا نعيش مرحلة شلل مغتصب تماما مثل كهولة المشانق امام بحار أغانينا الزرقاء . لكن لماذا يطاردنا هذا السجود امام الارض ؟ هي جباهنا تنام على رائحة الذاكرة .. انه البرتقال الجليلي . عنب القرى . هل ايقنت الزجاجات ان الخمر حليف الطري من الخراب . اننا على مدى هذا الفرح القاتله . فلاحون نزرع بذار الاسئلة . اننا على مدى هذا الذي يعانينا براءة غريبة كثيرة المرائ . لكن ...

لماذا كل الاشياء صالحة للنوم . زعماء ، مراوغون ، شبوح مخابرات حياة حذرة ، حكام بسطاء ، لعب لا تتعب جماهير هادئة حتى الصمت .

هنا حيث ينام النساؤل نستحيل جميعا الى تماثيل صارمة . نعلن عن ابتسام لطخة الدم . فمن يشتري منا رقاد السلاسل . من يبيع شجرة واقفة .

كلنا حجر واقف في اعشاش الاحلام ، ذنوب صغيرة واقفاص اعاصير نقف امامها مثل ندم لا يمّحي .

احيانا تاتي الاعياد من المقابر او من خيوط العناكب في المغاير . واحيانا نمضي الى العيد مع قداس « بطل » فنكتب عن متعة الموت .

كلهم يستيقظون باكرا ويمضون مغمورين بثياب سوداء كي يرقصوا احزانهم .

جلهم يخرجون محملين بالكثير من البراءة فيرجعون ومعهم احقاد ثقيلة . نتم عن كفرنا .. بالمواسم والعادات ..

اجل على طول هذا الزمن لا زال الصغار يذكرون جيدا كيف تقتل افراحهم ويعترفون بامكانية « الشك » .

هو العيد طائر ، يحط على اضرحتنا . فمن يشارك خروجنا لنضرب مواعيد للحياة . من يدخل في الخراب لنبحث عما لم يتهدم بعد ؟! ..

حسين نصر الله

تلفزيون لبنان:

التخلف المقصود

اذا كانت الثقافة السائدة في مجتمع ما هي ثقافة الطبقة السائدة، ففي لبنان وادوات اعلامه وثقافته الرسمية خير دليل على ذلك . ومنذ ان بدأ أول بث لاول برنامج في تلفزيوننا « المشرقط » ونحن نرى ونسمع ونقرأ نفس الوجوه والبرامج والاسماء . ولا يخفاك عزيزي القارىء ما تطلع عليك به البرامج المحلية من نماذج للاراء والافكار السياسية والاجتماعية التي يريد لها النظام ان تستمر في التحكم بحياة مجمل جماهيرنا . ناهيك عما تقدمه البرامج الاجنبية من دعايات مجانية « لخسنات » الاستعمار و « براعة الاميركي الخارق » وتفوقه غير القابل للمنافسة او حتى للتفكير في مجاراتها .

واذا ما اخذنا عينة من برامجنا المنتجة محليا نجد خليطا عجيبا من التخلف والتزلف والكذب الاجتماعي ، يجعلك تشعر بحالة دائمة من الاشمئزاز والتقزز .

ففي برنامج « الدنيا هيك » الذي يستأثر باهتمام الكثيرين الذين لا يجدون عند رجوعهم من عملهم منهكين ، سوى هذه الشاشة يمضون امامها سهراتهم ويرتاحون بذلك من عناء التفكير بالتعب الذي يجلبه الغد في ركضهم الماضي وراء لقمة العيش الصعبة التحصيل .

هذا البرنامج الذي يتمتع صاحبه « بضمير » سنة ١٩٥٨ واحساس « المصالحة الوطنية » (تحاول شخصية المختار فيه تمثيل سلطة النظام القائم) لا يجد في الحرب الاهلية اللبنانية التي ادت الى سقوط عشرات الآلاف من الشهداء والتي ما تزال مستمرة حتى الان ، سوى « خلاف سطحي بسيط » لا يختلف كثيرا عن مشكلة بسيطة بين زوجين (متحابين اصلا) وتعمل عناصر خارجية على تعزيز خلافهما .

ثم يأتي « النظام الصالح » على لسان الراعي الصالح ، ليوحد ما بينهما . واضافة الى هذا الفهم المطواوي والمقصود للمشكلة اللبنانية ، يتعرض البرنامج للكثير من المفاهيم الاجتماعية والطبقية الرجعية محاولا تثبيتها والتغني بها .

ففي احدى الحلقات يتعرض احد الممثلين الرئيسيين الى « هزة بدن » و « نرفزة » لان صورة ما مرت بخياله . هذه الصورة كما شرحها لشاركيه في المشهد التلفزيوني هي صورة « امرأة ترتدي ثيابا رثة والمشط لا يعرف شعرها وتفوح منها رائحة المطبخ » . اي بمعنى اخر كل ما يشوه صورة المرأة ـ الدمية التي يعتبر جلوسها أمام المرآة اقصى ما يمكنها من عمل .

واضافة الى هذا النمط من الافكار والمواقف ، تدور في البرنامج فكرة رئيسية تصب فيها مختلف المقاطع وتشكل محورا فكريا لها . وطبعا لا تتعدى هذه الفكرة اطار فتاة ترفض كل الذين يتقدمون منها وتضطر في النهاية الى قبول اخرهم رغم عدم رضاها عنه ، خوفا من تحولها الى « عانس » .

ولا يفوت كاتب البرنامج أن يحشي رؤوس المتفرجين بكمية لا بأس بها من الامثال السلفية والعتيقة التي تثبت وجهة نظره وتدعمها .

اذا كانت هذه عينة من تلفزيوننا ، فكيف الاذاعة ؟؟؟

« حسان »